بعض مظاهر تأثيرات النشاط الملاحي على الصياغة الحضارية في مصر القديمة*

يتألف التاريخ من أحداث وفي الحدث يتفاعل الزمان والمكان ويؤلفان وحدة واحدة لينتج عنهما صياغة مشتركة تحمل ملامح كل منهما .

ولقد كان للجغرافيا " المكان " بصمة واضحة على الصياغة الحضارية ويعزى اختلاف الحضارات وتباينها إلى حد كبير إلى اختلاف المسرح الذي وقعت عليه الأحداث فجاءت كل حضارة مدموغة بخصائصها المحلية .

وقد تأثرت حضارة وادي النيل بشكل كبير بالمؤثرات المكانية ولا شك أن أخص وأهم ملمح جغرافي في مصر هو نهر النيل الذي كثيرا ما تنسب إليه حضارتها فنقول " حضارة وادي النيل " ذلك أن تأثيراته قد انعكست على الاقتصاد والعقائد والفلسفة وكذلك النتاج المادي بشكل كبير .

ويعد نهر النيل بمثابة الشريان الذي يربط بين أجزاء مصر جنوبا وشمالا وكان مجراه هو طريق المواصلات الرئيسي والسياحة في مياهه هي وسيلة الانتقال الأساسية (١) .

ويعلق على ذلك الجغرافي "جمال حمدان" قائلا: " إن عامل النقل والمواصلات عامل توحيد وظيفي محقق في بيئة مصر النيلية ففي تناسق نادر يتضافر النهر مع الرياح في ربط أجزائها ربطا محكما.

وقد كان النهر وملاحة النهر أساس انتشار الحضارة داخل الوادي وقد كان أيضا وسيلة توحيده سياسيا .

وكما أشار الجغرافي "جمال حمدان" فقد قام النهر بالفعل بتوحيد مصر شمالا وجنوبا قبل توحيدها السياسي بآلاف السنين ، وتشير إحدى فقرات قصة " سنوهي " إلى معنى مشابه حيث تذكر (٢)

---

* د. زكية زكي جمال الدين: مدرس بكلية الآثار – جامعة القاهرة

(١) جمال حمدان ، شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٥١ .

(٢) M.Blackman , Middle Egyptian Stories , Bruxelles , 1972 , B 271, P.38 .

ʿnḫ r fnd .k ḥnm tw nbt sbȝw ḫd šmʿ.s ḫnt mḥy.s smȝ(.w) twt m rn ḥm.k

" (ليت الواحدة الذهبية تمنح) الحياة لأنفك وسيدة النجوم تكتنفك ، (دع) إلهة الجنوب تتحدر مع النهر وإلهة الشمال تصعد في النهر متحدين في شكل (واحد) في كلمات جلالتك "

إلهة الجنوب وإلهة الشمال في رأي " باركنسون "[٣] هما تاجي مصر العليا والسفلى ، والنص يشير إلى توحد الجزئين من خلال النهر . ومن هنا جاءت أهمية الوسيلة التي ينتقل بها عبر النهر وهي المراكب التي كانت نتاج الحاجة الملحة للسياحة عبر النهر هبوطا وصعودا .

ولقد عرف المصريون المراكب منذ مرحلة مبكرة جدا ويذكر " ردفورد "[٤] أن أول تصوير لقلع مركب في العالم جاء من مصر . وقد شاع تصوير المراكب في مرحلة ما قبل التاريخ سواء في النقوش التي وجدت بالوادي أو التي نقشت على صخور الصحراء ، وقد انتشرت المراكب في النقوش الصخرية خاصة في الصحراء الشرقية وفي فخار نقادة الثانية كان رسم المراكب أحد العناصر الأساسية في تصاوير هذه الفترة[٥] .

وقد واكبت المراكب الأحداث التاريخية المبكرة فنجد في صلاية "نعرمر" تصوير لسفينة مع الرجال ذوي الرؤوس المقطوعة وهذا ربما يفيد أن حروب التوحيد كانت تجري على متن النيل .

ويذكر حجر بالرمو تسجيلا للأحداث المبكرة للتاريخ المصري ويتضح أن المراكب كانت ملازمة للنشاط الملكي مثل رحلة الشمسو حور وكانت رحلة تفقدية لأحوال الدولة وإقرار الأمن يقوم بها الملك في مركب عبر النيل . وقد ورد ذلك في إحدى فقرات كتاب الموتى التي تذكر : " إن اسمي لم يصل مركب الحاكم القوي "[٦] بمعنى أنه كان شخص ملتزم .

---

(3) R.B.Parkinson , The tale of Sinuhe and other ancient Egyptian poems 940-1640 BC , Oxford , 1997 , P.41 .

(4) W.Cheryl , Ships and Ship buildings , The Oxford Encyclopedia of ancient Egypt , vol. III , Cairo , 2001 , P.281 ff.

(5) لمياء شوقي الحديدي ، " دراسة مقارنة بين النقوش الصخرية في مصر والنوبة السفلى ورسوم الفخار في المرحلة النقادية " ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٣ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(6) M.Lichtheim , Ancient Egyptian Literature , vol. III , London , 1976 , P. 125 .

وقد نسب المصري المراكب إلى الآلهة منذ فترة مبكرة كما يوضح المشط العاجي للملك " جد " ، كذلك استخدمت المراكب في احتفالات الآلهة المختلفة وكما ذكرت متون الأهرام وهي من أكثر النصوص التي سجلت أحداثا موغلة في القدم أنواع عديدة من المراكب يستخدمها الملك في مناسبات دينية وجنزية[٧] .

وقد حوت اللغة المصرية القديمة حوالي ١٢٠ كلمة للدلالة على أنواع مختلفة من المراكب[٨] دلالة على انتشار استعمالها وتنوع أشكالها طبقا لهذه الاستعمالات المختلفة .

ولا شك أن صناعة المراكب أي إيجاد وسيلة للانتقال عبر النهر قد بدأ بشكل بدائي وبسيط على مستوى الأفراد ثم تطورت لتكون صناعة هامة ومعقدة .

وربما يدل على الشكل البدائي للسياحة في النيل إحدى فقرات متون الأهرام التي تذكر :

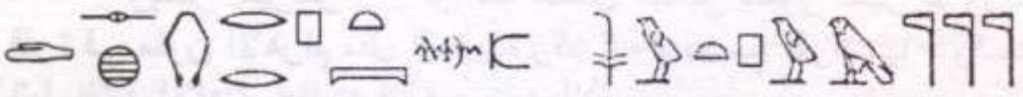

di šmwy pt n ⊏M) swt pw ḥr nṯrw .

" إن طوافتي السماء ستوضع للملك لأنه حورس الآلهة " [٩] .

وقد أشار "برستد" إلى هذا النوع البدائي من المراكب الذي استعمل في عبور النهر في مرحلة مبكرة جدا وهما الطوافتين اللتان كانتا تصنعان من البردي ذلك أن بلاد فقيرة الأخشاب مثل مصر وقبل استيراد الأرز من سورية لاشك أن المصري وظف ما هو موجود في بيئته المحلية وهو البردي[١٠] .

وتشير الفقرة C ١٢٠٦ من متون الأهرام إلى طريقة عمل šntyw فتذكر :

---

(7) F.Miosi , " Boats in the Pyramid Texts " , , 1975 .

(٨) مصطفى عطا الله ، " أسماء المراكب واستخداماتها من خلال النصوص والمناظر المصرية حتى نهاية الدولة الحديثة " ، القاهرة ، ١٩٨٧ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

(9) Pyr. 1068 a .

(10) J.H.Breasted , "The Earliest boats on the Nile" , in : JEA 4 , 1917 , P. 174 ff.

spi.sn sḫnw n ⊏M) šm.f im ir ȝḫt ḥr Rᶜ .

" احزموا الطوافتين للملك ليذهب بهم إلى الأفق إلى رع " .

ويضيف "برستد" أن فعل spi بمعنى يصمم أو يدكك قد ظل مستخدماً للدلالة على تصنيع المراكب الخشبية بعد ذلك . ويرى "كيس"[١١] أن صناعة المراكب الخشبية قد تأثرت بهذه الطريقة الأولى لصنع الطوافات وأن أجزائها كانت تربط إلى بعضها البعض ويستشهد في ذلك بنصوص تحتمس الثالث الذي ذكر كيف أنه صنع سفناً على الساحل السوري وحملها مفككة ليعيد تركيبها على شاطئ الفرات .

ويذكر "ميرسر" [١٢] أن هذا الشكل البدائي لعبور النهر قد ورد في أكثر من فقرة في متون الأهرام مثل التعويذة رقم ٤٠٥ بجميع فقراتها . وقد نسبت هاتين الطوافتين للإله رع نفسه فتذكر متون الأهرام .

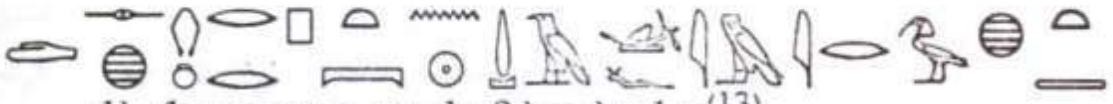

di sḫnw pt n rᶜ ḏȝ.f im ir ȝḫt [13] .

" إن طوافتي السماء قد وضعتا للإله رع ليعبر بهما إلى الأفق " .

وتذكر التعويذة رقم ٤٦٤ " هذه الطوافات الطاهرة التي وضعتها لأوزير لكي يصعد بها إلى السماء " .

ويلاحظ في النصوص السابقة أن المراكب أو الطوافات تستعمل أيضاً للصعود إلى السماء وقد تكرر هذا المعنى بعد ذلك في الأسرة الثامنة عشر فنجد على لوحة جبل السلسلة الخاصة بالملك أمنحتب الثالث يتحدث عن وفاة تحتمس الرابع وصعوده إلى السماء فيقول :

---

[11] H.Kees , Ancient Egypt , cultural Topography , London , 1961 , P. 109 .

[12] S.Mercer , The Pyramid Texts in translation and Commentary , vol. IV , London , 1952 ,p. 71.

[13] Pyr. 337 a .

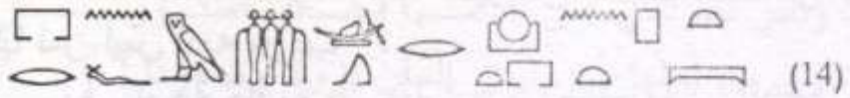

pr.n.f m ḫnt r ȝḫt nt pt

" لقد خرج مبحراً جنوبا إلى الأفق الخاص بالسماء " .

ونجد أن المراكب في الفترة رقم (a) ٥٨٦ من متون الأهرام تُشبه بأنها السلم الذي صنعه خنوم حتى يعتليه الملك للصعود إلى السماء .

وربما تكون المراكب وسيلة غريبة بعض الشئ للصعود لأعلى أي للسماء ولكن المركب في الوجدان المصري كانت هي الوسيلة فحسب .

وتبعاً لأهمية المراكب وحيويتها في الحياة العامة بالنسبة للأفراد والجماعات والدولة فقد تطورت صناعتها بشكل سريع وزادت أحجامها وتنوعت أخشابها وأصبحت صناعة المراكب من الصناعات الأساسية والتي شكلت عنصراً واضحاً في الصناعات التي كانت تصور على جدران المقابر[١٥].

وقد دلت النصوص على اختلاف أنواعها على حيوية المراكب وكيف كانت المركب من ضمن الاحتياجات الأساسية في الحياة مثل المأكل والمشرب والملبس وقد عبرت عن ذلك إحدى فقرات كتاب الموتى حيث يذكر المتوفى :

" لقد أرضيت الإله بما يرغب فيه ... وأعطيت الجائع خبزاً ... والصادئ ماءاً ... والعريان كساءاً ... ومن لا مركب له مركب" [١٦] .

وفي السيرة الذاتية للمدعو " نار سشم رع " من الأسرة السادسة في مقبرته بسقارة يتغنى بفضائله فيقول :

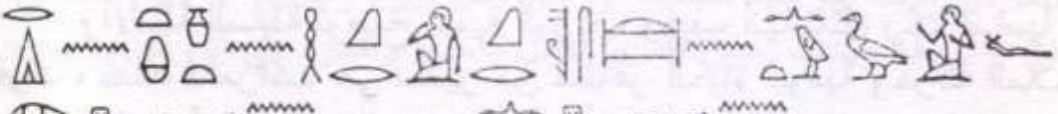

rdi.n.(i) t3 n mkt.n ỉkr kꜣ.n(i) n iwty-s3.f ir.n.(i) m ḫnt n iwty m ḫnt.f [17].

---

[14] Urk. IV 1678 – 14 .

[15] B.Landstörm , Ships of the Pharaohs 4000 years of Egyptian ship building , London , 1970 , P.

[16] M.Lichtheim , Ancient Egyptian Literature , vol. II , London , 1973 , P. 128 .

[17] Urk. I , 198 –200 ; M.Lichtheim , op.cit , vol. I , P. 40 .

" لقد أعطيت خبزاً وجعة للجوعان ... لقد دفنت من لا ابن له ... لقد صنعت مركباً لمن ليس لديه مركب " .

وفي لوحة جنزية من جبلين يذكر صاحبها : " لقد صنعت مركباً طولها ٣٠ ذراعاً وأخرى صغيرة لكي أعدي من لا مركب له وقت الفيضان " .

وفي الفقرات ١١٧٦ ، ١١٧٧ يخاطب الملك كل من حورس وتحوت قائلاً : "دعوني أعبر ، لا تتركوني دون مركب أعطوني خبزاً وأعطوني جعة " .

وهنا نجد حاجة الملك إلى المركب تأتي قبل حاجته للمأكل والمشرب.

وفي إحدى فقرات متون الأهرام يذكر النص :

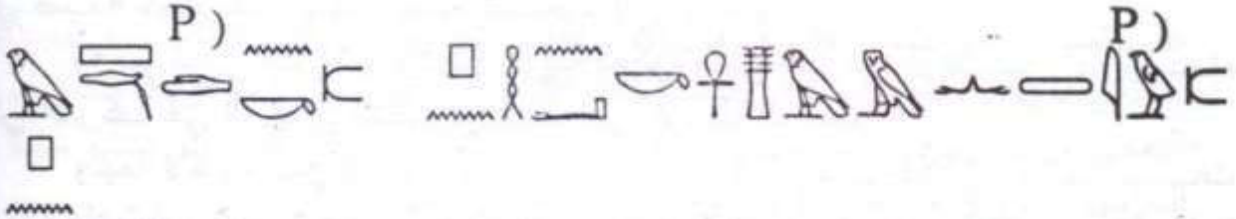

ḥr šd n.k ⊏ p) pn ḥnᶜ.k ᶜnḫ ḏd ḥr m iwi ⊏ p) pn .

" أيا حورس خذ بنفسك هذا الملك معك حياً ومعمراً ... أيا حورس لا تترك هذا الملك بدون مركب " [١٨] .

ونجد أن تعبير من لا مركب له كان يجمل عادة في كلمة iwi وترتبط العلامتان الأولى والثانية وبنفس النطق ولكن بمخصصات مختلفة لتدلل على معاني الضيق والضجر والعجز والإعاقة ...الخ [١٩] .

وعندما أسدى "أمنموبي" إلى ابنه النصح وحثه على حسن المعاملة وتفقه في شئون الحياة من واقع تجاربه أفرد فصلا كاملا (الفصل ٢٩) لأحد الأنشطة الهامة والمؤثرة وهي عبور النهر أو التعدية فيذكر : " لا تمنعن أناساً من عبور النهر عندما يكون في قاربك مكان ... لا تضعن لنفسك معبراً على النهر ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة ورحب بمن لا يملك شيئاً " [٢٠] .

والأمثلة السابقة توضح أهمية المركب وكيف أنها تمثل ركناً أساسياً في حياة الأفراد ، كذلك فالمراكب هي مظهر من مظاهر الحياة اليومية وحركة الملاحة في النهر هي جزء أساسي من السعي اليومي ويشير نشيد آتون إلى هذا المعنى فيذكر ضمن فقراته : " الكون بأسره تدب فيه الحياة ويعمل ... والماشية راضية بمروجها ... والأشجار و الأعشاب نضرت واخضرت ... والطيور ترفرف بعيدة عن أعشاشها

---

[18] Pyr.T 1030 a .

[19] WbI , P.47-48 .

[٢٠] سليم حسن ، مصر القديمة ج١٧ ، القاهرة ، ص ٢٦٠-٦١ .

فتنشر أجنحتها وتسبح لك ... وتقفز المواشي على أقدامها وسائر الطيور وسائر الدواب تحيا جميعا عندما تشرق من أجلها ... وتبحر السفن نزولا وصعودا [٢١] .

وعندما أرسل الملك "بيعنخي" جنوده لفتح مدينة الأشمونين أمرهم أن يفيضوا على مظاهر الحياة فيها أهلها وماشيتها وسفنها التي في النهر .

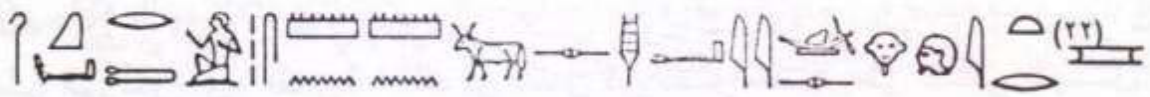

ḥḳ3 rmṯ mnmnt.s ḥ^y.s ḥr-tp itrw

وقد كان امتلاك المراكب وقدر حجمها دلالة على المكانة الاجتماعية وتعد من الأشياء التي يتفاخر بها الإنسان فيذكر " إيتي " حاكم منطقة جبلين في عصر الانتقال الأول أنه يمتلك قطعانا من مختلف أنواع الماشية كما أنه بنى سفينة طولها ٥٠ ذراعا وأخرى ٣٠ ذراعا [٢٣] .

ويذكر "إيبور" في توجعاته عن انقلاب الأحوال وتبدلها : " أنظر إن الذي لم يبن لنفسه مركبا قط أصبح الآن يملك سفنا " [٢٤] .

وكذلك كان الملوك يتفاخرون بحجم التوارب التي يبنونها للآلهة .

وعلى قدر تأثيرها في حياته المادية واعتبارها الوسيلة الأساسية للانتقال والحركة لم يتصور المصري أن يزاول أي نشاط دون استخدام المراكب لذا فقد جعلها وسيلة أساسية للآلهة رغم قدراتهم العظمى فرأى أن الشمس لا يمكن أن تعبر الأفق دون مركب كذلك سائر الآلهة في تجوالها .

وقد نسب المصري المراكب إلى مرتاه أيضا فكانت المراكب الجنزية التي حرص على دفنها مع المتوفى والتي تمثل عنصرا أساسيا في الأثاث الجنزي [٢٥] .

وقد نتج عن ملازمة المركب للأنشطة المختلفة في مصر قديما أن وعيها المصري وعيا تاما من حيث أجزائها المختلفة ووظيفة كل جزء وطريقة قيادتها التي تطلبت منتهى الدقة واليقظة وكذلك حسن تقسيم العمل داخلها والحزم في إدارتها .

---

(٢١) نيقولا جريمال ، تاريخ مصر القديم ، ترجمة ماهر جويحاتي – الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢٩٠-٩١ .

(22) H.Shäfer , Urkunden der alten ätheopien König , I , Leipzig , 1905 , P.7 .

(23) H.Breasted , Ancient records of Egypt , vol. I , London , 1905 , § 457-59 .

(٢٤) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢٥) عن المراكب الجنزية ومراكب الآلهة أنظر :

K.Akitche , "Barke" , in: LÄ I , cols. 619 – 625 ; A.W.Cheryl , Sacred and Secular ancient Egyptian boats , Boston , 2000 .

وقد انعكس ذلك على تعبيراته وإنتاجه الأدبي أي صياغة أفكاره ، كذلك تداخلت المراكب في كثير من الرموز والمعاني ، ولعل أوضح دليل على تغلغل المراكب في الحضارة المصرية ومواكبتها للخطوات لهذه الحضارة أن المراكب وأجزائها المختلفة قد تداخلت بشكل كبير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، وقد تعددت الأفعال الدالة على السياحة في النيل[٢٦] ، ولعل أكثرها شيوعاً فعل 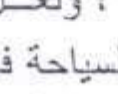 d3 [٢٧] الذي يعبر عن الشكل الأول للسياحة في النيل وهو العبور من شاطئ إلى آخر أي " التعدية " ذلك أن المدن في مصر تنتشر على ضفتي النيل بل كثيراً ما يقسم النيل المدينة الواحدة إلى جزء شرق النيل وجزء آخر في غربه وقد استعير هذا المعنى ليعبر عن عبور السماء من الشرق إلى الغرب .

ومن أكثر الأفعال شيوعا للدلالة على السلاحة شمالاً وجنوباً

يبحر شمالاً مع تيار الماء ḫdi [٢٨] .

يبحر جنوباً باستعمال الرياح ḫnti [٢٩] .

وقد أشار "كيس" إلى أن السفر جنوبا كان يعبر عنه بفعل ḫnti بمعنى يصعد في النهر والسفر شمالاً بفعل ḫdi بمعنى يهبط في النهر حتى عندما تتحدث النصوص عن السفر خارج مصر [٣٠] .

وقد علق "جاردنر" على هذين الفعلين موضحاً الاختلاف بينهما حيث تعتمد الملاحة من الجنوب إلى الشمال على تيار الماء بينما تعتمد السياحة من الشمال إلى الجنوب على الرياح الشمالية [٣١] ، ولذا فقد كان الإبحار من الجنوب إلى الشمال هو الأسهل ، ولذا نجد أحد النصوص الجنزية من أبيدوس يذكر

ḫnt.k m msktt ḫdi.k m mʿnḏt .

---

(26) Jones, A Glossary of Ancient Egyptian Nautical Titles and Terms , London, New York , 1988 .

(27) Wb. III , P.3 .

(28) Wb. III , P. 309 .

(29) Wb IV , P. 308-9 .

(30) Kees , op.cit . , P. 94 .

(31) A.H.Gardiner , Ancient Egyptian Onomastica ,vol. I , Oxford , 1968 , P. 160 .

(32) A.Piankoff & J.J.Clére , "A letter to the dead on a Bowel in the Louvre " , in : JEA 20 , 1934 , P.162

*عبرت أكثر من فقرة في متون الأهرام عن المخاطر التي تواجه سفينة السماء وتذكر الفقرة (a) ١١٧١ من متون الأهرام " رعب سفينة السماء " .

" ليتك تبحر في سفينة المساء ليتك تبحر في سفينة الصباح " (٣٢).

وقد جاء توظيف الأفعال هنا محكوماً بطبيعة السياحة في النهر حيث اختار فعل ḫnti مع مركب الليل لأنه من الطبيعي أن تكون سياحة الليل أكثر مشقة* وقد استعمل مع سفينة النهار وهي سياحة ميسرة فعل ḥdi .

ولم يقتصر استعمال المراكب أو أجزاء منها في صياغة الأفعال التي تتعلق فقط بل دخلت أيضاً في صياغة مفردات تحمل معاني لا تتعلق بالملاحة . مثال على ذلك الكلمات الدالة على النفس والتنفس مثل :

(٣٥) m3ᶜw

(٣٤) nft

(٣٣) ṯ3w

(٣٧) ḫrw

(٣٦) N3w

وفعل يقف عبر عنه بالصاري 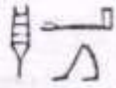 (٣٨) ᶜḥᶜ .

وفي الكلمات السابقة نجد أن أجزاء المركب منها مكوناً أساسياً فالنفس لدي المصري القديم أول ما ارتبط بانتفاخ الشراع الذي جعله مخصصاً لأي تحرك للهواء أو الرياح .

والصوت لدى المصري هو ما نشأ بداية من ارتطام المجداف بالماء كذلك فإن استقامة الصاري تعبر عن معنى الوقوف بدلالته المادية والمجازية بمعنى يناهض أو يقف في وجه شخص ما وهي كلمات تدل على الصمود والثبات ، وقد عبر المصري بشكل وتد المرسى عن العديد من المعاني حيث تعبر عن الرسو الفعلي وكذلك سكون الحركة أو الموت وهي أيضاً تعبر عن الاستقرار أو الرسو على وضع ما ، وقد ورد

---

(33) Wb. V , P. 350 .
(34) Wb. II , P. 250 .
(35) Wb. II, P. 23 .
(36) Wb. II , P. 200 .
(37) Wb. III , P. 324 .
(38) Wb. I , P. 218 .

بقصة "سنوحي" المعان المختلفة لكلمة mni ، فعندما تحدث عن زواجه من ابنة الشيخ الآسيوي ذكر[٣٩] :

Mni.n.f wi m sȝt.f wrt

" لقد أرساني (زوجني) من ابنته الكبرى " .

وعندما ذكر أنه سيظل في حظوة الملك حتى وفاته قال[٤٠] :

Iw.i m ḥswt nt nswt ḫrt r iit hrw mni .

" إنني في حظوة الملك حتى مجيء يوم المنية " .

وجاءت نفس الكلمة mnit في نصائح " أمنمحات الأول " لابنه " سنوسرت الأول " بمعنى يخرج ما في قلبه [٤١]

Ink mni ȝ nty m ib.i .

كذلك فقد تعددت معاني هذه الكلمة مع أحرف الجر المختلفة [٤٢] . كذلك فقد جرد فعل الإبحار 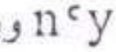 n ʿy ووظفه المصري القديم كفعل مساعد يشير إلى حدث وشيك الوقوع أو الدلالة على المستقبل القريب [٤٣] أي أن أفعال الإبحار لم تعبر عن الحركة المادية فحسب بل تعدتها إلى التعبير عن حركة الزمن .

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الكتابة هي توثيق للغة انتشرت شفاهة فإن المصري عندما أراد تسجيل هذه اللغة استخدم في ذلك الأشكال الأكثر شيوعاً وتعارفا للتعبير عن الأصوات المنطوقة ، وقد وجد غايته في أجزاء المركب وهنا يتبين لنا مدى الإدراك العام لأجزاء المركب ووظائفها والأصوات التي تنشأ عنها .

وقد شاعت تعبيرات الملاحة بشكل مجازي في الأعمال الأدبية واستخدمها الأدباء والمفكرون كموصل جيد لأفكارهم واعتمدوا في ذلك على شيوعها وكونها

---

(39) M.Blackman , Midle Egyptian Stories , Bruxelles , 1972 , B79 , P.22 .

(40) Ibid , B 310 , P.41 .

(41) J.L.Foster , "The conclusion to the testament of Amenmes King of Egypt " , in : JEA 67 , 1981 , P. 40-41 .

(42) R.O.Faulkner , A concise dictionary of Middle Egyptian , Oxford , 1961 , P. 107 .

(43) A.Erman , Neuägyptische Grammatik , Leipzig , 1933 , P.275 § 574 .

مدركة بين كافة المستويات . ونجد في شكاوى القروي الفصيح ما يعبر عن أهمية المراكب وحيويتها فيقول في الشكوى الرابعة :

" هل أحضر قارب التعدية إلى البر فبماذا يستطيع الإنسان أن يعبر ؟ " (٤٤) .

والفقرة السابقة تشير مجازاً إلى انعدام الوسيلة فالقروي يعاني من أن الحق والعدل معطلان ويشبه هذه الحالة بإحضار مركب التعدية إلى البر بمعنى "وقف الحال" . وعندما وصف "إيبور" تدهور الأحوال في صعيد مصر ذكر أن سفينة الجنوبيين شاردة ودمرت البلاد(٤٥) . ويقصد من شرود سفينة الجنوب أنها خرجت عن الطريق السليم " كناية عن عدم تبعيتها للشمال وما صاحب عصر الانتقال الأول من تدهور سياسي .

وعندما تحدث الملك "خيتي" في نصائحه لابنه "مريكارع" عن الأحوال في شرق الدلتا ذكر(٤٦) :

mk ḫwi mnit mwi ir.n.i ḫr ibtt .

" إن وتد المرسى الذي وضعته في شرق الدلتا قد اقتلع " .

وقد عبرت الأعمال الأدبية عن الأخطار التي تتعرض لها المراكب فنجد نص القروي الفصيح يعدد مخاطر الملاحة في صياغة مجازية إذ ينصح رئيسه أنه إذا اتبع العدل فإنه سيسلم من كل سوء فيقول له :" إنك إذا نزلت في بحر الحق وأبحرت فيه برياح العدل فلن تمزق العواصف شراعك ولن يكون قاربك معطلاً ولن يحدث لصاريك أي ضرر ومرساك لن ينكسر ولن يغوص قاربك حين يرسو على الأرض ولن يحملك التيار بعيداً ولن تذوق أضرار النهر ولن ترى وجوها هلعة "(٤٧) .

والتشبيه في الأدب هو نوع من التعبير عن الأفكار وتوضيحها بإسقاطها على مدركات شائعة لذا فإن النص السابق يشير إلى جانب من جوانب النشاط الملاحي وهي أنواع المخاطر التي تتعرض لها المراكب ، وهي تمثل هموم عامة تعاني منها فئة كبيرة . وعندما أراد القروي أن يُرغب "رنسي" في إقامة العدل جعل مكافأة ذلك ملاحة مُيسرة بعيدة عن الأخطار ، بمعنى حياة موفقة لا يعوقها شئ .

---

(٤٤) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(45) M.Lichtheim , op.cit. , vol.I , P. 213 .

(46) Helck , Die Lehre für König Merikare , Wiesbaden , 1977 , P. 53 XXXIII .

(٤٧) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

وفي الشكوى الثانية من شكاوى القروي الفصيح يحث "رنسي" على إقامة العدل فيقول له : " كن حامياً حتى يصير شاطئك واضحاً " (٤٨) .

ويتكرر نفس المعنى في النصائح الموجهة من "أمنموبي" إلى ابنه فيذكر في الفصل الثاني منها : " من فعل فاحشة فإن المرفأ يُفلت منه وأرضه المبللة تأخذه بعيداً، كذلك يهب إعصار الشمال ليقبض على حياته ويتحد بالعاصفة " .

وفي مقبرة "بيتوزيريس" خطبة لوالده s3 šw "ساشو" يوضح فيها طريق النجاح في الحياة ويحثه على الفضيلة والتمسك بالدين وأن الشخص سيكافأ على ذلك " أنه يستطع أن يُبحر (في الحياة) بريح طيبة دون أن تصطدم بالشاطئ "(٤٩) .

وواضح من التشبيهات السابقة أنه في مجتمع يعتمد في انتقالاته على المراكب كوسيلة أساسية لم يجد أوضح من هذه المخاطر ليربطها بشكل مجازي بصلاح الشخص أو انحرافه وأنه من يتبع الطريق القويم سيلقى سياحة مُيسرة ومن ينحرف عن جادة الصواب فإنه سيلقى كل المُعوقات .

وكان طُغيان النهر أو الفيضانات العالية يُمثلان بعض المشاكل التي تواجه السياحة في النهر في هذه الفترة حيث يكون من الصعوبة التعرف على المرسى .

وقد أشارت اللوحة الخامسة من لوحات معبد "الكوه" التي ترجع لحكم الملك "طهرقا" في الأسرة الخامسة والعشرين فيذكر :

" أتى الفصل الخاص بارتفاع الفيضان واستمر يفيض على الأرض بكثرة كل يوم ومضت أيام كثيرة يعلو بنسبة ذراع يومياً وقد اخترق تلال الوجه القبلي وغمر تلال الوجه البحري وأصبحت الأرض محيطاً أزليا ولم يكن هناك مُميزاً للأرض من النهر " (٥٠) .

وقد أشار الأدب إلى صعوبة التعرف على المرسى وقت الفيضان ، فتذكر أسطورة حورس المُصورة على معبد إدفو صفة اشترك فيها حورس والملك وهي(٥١)

s n šsp mnit m nwy

" الرجل الذي يُمسك بالمرسى في الماء (وقت الفيضان) .

وفي الشكوى الثالثة للقروي الفصيح يُحذر من التراخي في إقامة العدل والاستهانة بشكواه فيذكر : " قد الدفة على حسب القلع وصُد الفيضان بعيداً حسبما يقتضيه العدل واحترس من أن تصطدم بالشاطئ " (٥٢) .

---

(٤٨) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(49) M.Lichtheim , op.cit. , vol. III , P. 50 .

(٥٠) سليم حسن ، مصر القديمة ج١١ ، ص ٢٠٤ .

(51) Fairman & Blackman , " The Myth of Horus at Edfu II " , in : JEA 29 , 1943 , P. 4 .

(٥٢) سليم حسن ، المرجع السابق ج١٧ ، ص ٦٣ .

وقد عبر عن أعطاب المركب في بردية "أنستازي V"وفيها يُرسل أستاذ إلى تلميذه خطاب به العديد من الإرشادات ومنها التحذير من تعاطي المُسكرات حيث تجعله يفقد توازنه فيقول : " إنها تجعلك مثل سكان السفينة المكسور الذي يترنح على الجانبين " (٥٣) .

وكان الجو السيئ والعاصفة من الأخطار التي تتعرض لها الملاحة ، وقد عبرت الفقرة ٥٠٠ من متون الأهرام عن مظاهر الطقس السيئ فتذكر :

W)

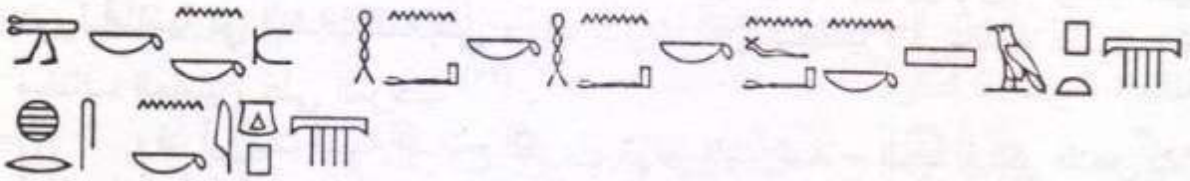

Iṯ.k n.k W) ḥnʿ.k nfʿ n.k šȝpt ḫsr n.k igp .

" ليتك نأخذ لك الملك معك معك ليزيح لك العواصف و يطارد لك السحب " (٥٤) .

وهنا نلاحظ أن مثل هذه الصعوبات للملاحة في الحياة الدنيا لم يتصور المصري أن يبرأ منها في الآخرة .

وكانت الرياح الشديدة أيضا تمثل خطورة على الملاحة وتوضح هذا بشكل مجازي إحدى فقرات متون الأهرام ، حيث تذكر التعويذة ٣١١ الفقرات من ٤٩٧ إلى ٥٠٠ " لكي يتسنى لك الدخول في مركب الشمس المسائية أطلب من الملك أطلب منه أن يقول أربع مرات مرة تلو الأخرى لأولئك الثائرات الأربعة " .

والمقصود بالثائرات الأربعة هنا الرياح .

وفي قصيدة مديح لرمسيس IV في مناسبة تتويجه ، وقد كتبت على بردية محفوظة حاليا في متحف تورين تحت رقم ٥٧٠٠١ ، " إن السفن تحتفل في العمق (ربما يعني هنا في وسط النهر) متحررة من أمواجها إنها قادرة على الإبحار سواء بالشراع أو بالمجداف وليس للطقس سيطرة عليها منذ أخذ الملك التاج الأبيض"(٥٥)

---

(53) R.Caminos , Late Egyptian Miscellanies , London , 1954 , P. 182 .

(54) Pyr. 500 .

(55) K.A.Kitchen , Poetry of ancient Egypt , Jonsered , 1999 , P. 215 .

والنص يُشير ضمناً إلى استقرار الأمور والشعور بالأمان .

فإن قلة ماء النهر أو فصل التحاريق يُمثل صعوبة للملاحة حيث يكون من الصعب على السفن الطفو وتضطر إلى الرسو الإجباري . وقد عبرت أساطير الشمس عن هذا المفهوم ، حيث تُوضح أن أعداء مركب الشمس متمثلين في الثعبان ʿ3bb أو السلحفاة يشربون ماء المحيط السماوي مما يُجبر مركب الشمس على الرسو على الشاطئ الرملي الخاص بالثعبان ʿ3bb بسبب المياه المنخفضة ، ولكن هذه الحالة تنتهي عندما يصرع ست أعدائه برمحه فيُرجعوا ما شربوه وتستطيع المركب أن تتحرك ثانية (٥٦).

وقد كان للعاملين على المراكب من بحارة ومجدفين ورئيس للمركب القبطان دوراً أساسياً في النشاط الملاحي ، وقد عبرت مفردات كثيرة في اللغة عن وظائف مختلف العاملين على المركب (٥٧) .

وقد أوردت قصة الملاح الغريق مواصفات الملاح الجيد فيذكر النص : " كان فيها ١٢٠ بحاراً من نخبة مصر وكانوا يتعرفون السماء وكانوا يتعرفون الأرض وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود وكانوا يتنبئون بالعاصفة قبل أن تحدث وبالزوبعة قبل أن تمر " (٥٨) .

والنص السابق يرسم صورة الملاح المثالي ذلك الذي لديه قدرة على استقراء الأحوال الجوية لتأمين سلامة المركب ، كذلك فهو يتحلى بالشجاعة لمواجهة أية صعوبات . والصفات السابقة تُشير إلى طبيعة النشاط الملاحي الذي يفرض أو يُحتم أن يكون العاملين فيه ذوي قدرات خاصة .

ويُعد التجديف من أبرز الأنشطة ذلك أنه يُفعل دور المركب وهذا النشاط يرتبط بطبيعة الحال بالمجداف ، وقد عبر عن المجداف في اللغة المصرية القديمة بأكثر من كلمة أكثرها شيوعاً

---

(56) J.Assmann , Egyptian Solar religion in the New Kingdom , Translated by Anthony Alcock , London , 1999 , P.54 .

(٥٧)عن ألقاب طاقم المركب أنظر

D.Jones , A Glossary of ancient Egyptian Nautical Titles and Terms , London , New York , 1988.

(٥٨) سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٥١ .

(59) Wb. III , P.324 .

(60) Wb. III , P. 68 .

ونجد أن كلمة ḫpt هي الأكثر شيوعاً ويكون معناها مع فعل ỉṯ "يسافر بالمركب" . كذلك فقد أصبح المجداف يدل على الحركة بوجه عام ذلك أن تصوير المجداف مع مخصص الأرجل يُعطي معنى عداء ḫpwty 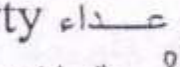 كذلك فالعجل أبيس هو ḫpw 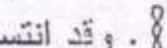 . وقد انتسب إلى المجداف أحد أولاد حورس ḫpy . وتدخل كلمة ḫpt بمعنى المجداف في اسم التتويج لأول ملوك الدولة الوسطى الملك "تب حبت رع" .

وقد عُبر عن المجداف أيضاً بكلمة ḥmw 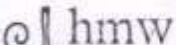 ولكنها تُشير دائماً إلى المجداف الموجود في مؤخرة المركب لتوجيهها[٦١] .

وقد أدرك المصري فاعلية دور المجداف فهناك فقرة في متون الأهرام في مناجاة المجداف تذكر[٦٢]

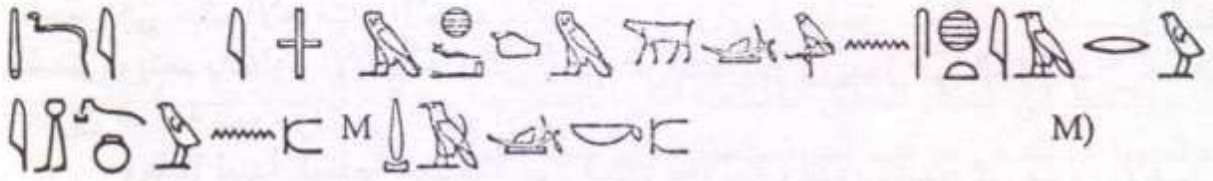

ḏd mdw I imy ḫfꜥ mḫnt n sḫt ỉꜣrw in nw n ⊏M) ḏ3.k

⊏ M)

" أيا هذا الذي في قبضة معداوي حقول الإيارو أحضر هذا إلى الملك لكي تعدي الملك " .

وكان التجديف من الأعمال التي تتطلب قوة ولذا فهو من الرياضات الهامة فى اللياقة البدنية والتي مارسها الملوك وتغنوا بتفوقهم فى هذا المجال مثال على ذلك لوحة الملك "أمنحوتب الثانى" عند أبى الهول وتذكر ضمن فقراتها[٦٣] :

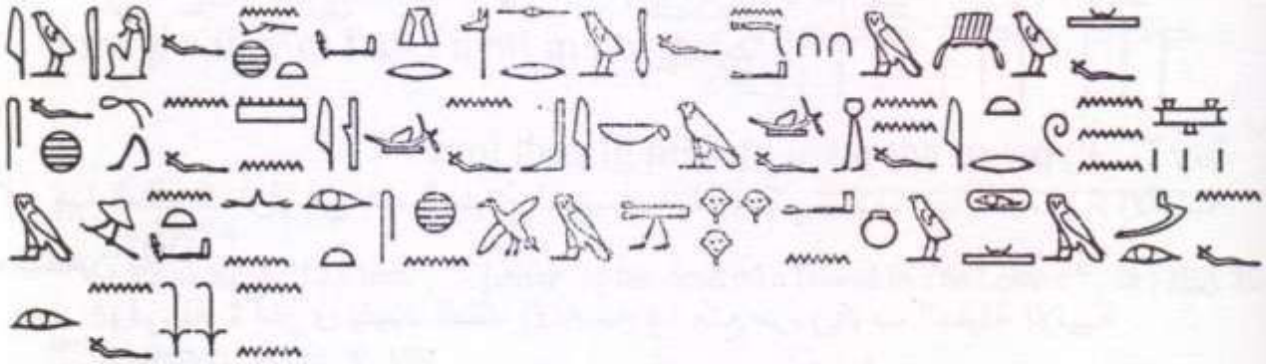

(61) Landstörm , op.cit. , P. 122 .

(62) Pyr. T. 1743 a-b .

(63) Urk. IV , P. 1280 .

Iw Hm.f nxt xr wsrw.f nmH 20 m Aw.f sfx.n.f mni.n.f bik.f in.n.f itrw fdw mXnt nn irt sxn pA m iTt Hrw anw m mAA n.f ir.n.f nn

" لقد كان جلالته قوياً بمجدافه الذي يبلغ عشرين ذراعاً فى طوله ويتوقف ويرسو(بسفينة) الصقر وقد جاب النهر ثلاث مرات تجديفا دون عمل هدنة (راحة) أثناء العملية ولقد كانت الوجوه سعيدة بالنظر إليه يفعل ذلك "

والنص السابق يعبر عما يمثله التجديف من قوة وكيف أن إجادته مادة للتفاخر ونلاحظ فى النص أنه كنى عن المجداف "بالقوى "

وقد زخرت النصوص الدينية و الجنزية بأمثلة تعكس نشاط التجديف حيث هو السبيل الوحيد لتفعيل دور المركب ومن أشهر المراكب التي ذكرت في النصوص الجنزية مركبتي الشمس مركب الليل ومركب النهار واللتان من خلالهما يشرق إله الشمس فى عالم الأموات والأحياء وكان أمل المتوفى أن يلحق بهم ليكون بصحبة إله الشمس وينعم بالخلود الأبدي هذا إلى جانب مراكب أخرى يبحر بها المتوفى خلال الطرق المائية الموجودة في العالم الأخر .

وطبقاً لمبدأ المنفعة المتبادلة بين الملك والآلهة والذي يتضح في متون الأهرام فإن نشاط التجديف على هذه المراكب كذلك سبل قيادتها وتأمين رحلاتها كانت مهمة يتبادلها الملك والإله

وتشير الفقرة رقم ٣٧٤ من متون الأهرام إلى " أن الملك قوى ويداه لاتكل"

وتؤكد الفقرة ١٧٥١ على دور المجداف فى تفعيل المركب تخاطب الملك قائلا " خذ مجدافيك ذلك المصنوع من خشب w<n وتلك المصنوع sdd من خشب حتى يستطيع عبور الطريق المائي إلى بيتك وأن تحمى نفسك منه ذلك الذي يؤذيك"

وتذكر إحدى فقرات متون الأهرام

hAy ⊏ P) pw m wiA pw n nTr Hnn ht psdt im.f .

"أن هذا الملك قد نزل فى هذه السفينة الخاصة بالإله والتي يجدف بها تاسوع الآلهة مجتمعين" (٦٤) .

وفى فقرة أخرى يتهدد الملك الإله أنه إذا مُنع من ركوب السفينة الإلهية

(64) Pyr. 1250 d .

ḥsfw iswt.k nt iḫmw sk ir ḥnt.k .

" فإن بحارتك من النجوم التي لا تفنى ستصنع التجديف له " (٦٥)

وفى الدولة الوسطى نجد على اللوحات الجنزية للأفراد أنهم يتمنوا أن يكونوا من المجدفين في مراكب الشمس ، وتذكر إحدى لوحات أبيدوس من الأسرة ١٢ النص التالي (٦٦) :

ḏsr.f ḥpw msktt sḳd.f mᶜnḏt :

" لكي يبحر في قارب المساء لكي يبحر في قارب الصباح "

ويلاحظ فى المثال السابق اختلاف فعل الإبحار مع مركب المساء عنه عند مركب الصباح ذلك أن مركب المساء تحتاج إلى جهد أكبر

وقد استخدم المجداف استخداماً مجازياً فى الأعمال الأدبية فنجد فى العديد من الابتهالات يوصف الإله آمون أنه " القبطان الذي يعرف المياه والمجداف الدفة) الذي لا يضل " (٦٧)

وفى مقبرة "باسر" من عهد الملك "سيتي الأول" يُوصف آمون أنه " المجداف (الموجه) لذلك الذي يضعه في قلبه" (٦٨) ، ونفس المعنى فى ابتهال لآمون من عهد "أمنحوتب الثالث" يُوصف آمون بأنه ḥmw nfr (٦٩) .

ونجد فى نص لوحة "بيعنخى" (٧٠) :

ḥmw pw ib sᶜgȝ.f nb.f n ntt m pȝw nṯr .

(65) Pyr. 1439 a .

(66) A.Piankoff & J.J.Clére , " Letter to the dead on a Bowel in The Louvre " , in : JEA 20 , P.162

(67) J.Assmann , op.cit , P. 199.

(68) M.Lichtheim , op.cit , vol. II , P. 112 .

(69) J.Assmann , op.cit. , P.193 .

(70) H.Schäfer , op.cit. , III P. 20-54 .

" إنه القلب مجداف (السفينة) موجه بقلب صاحبه ... من قوة الإله "

كذلك فقد عبر الأدب بشكل رمزي عن وجود مجداف يعنى الإعاقة وانعدام الوسيلة فنجد على إحدى لوحات أبو سمبل يردد "رمسيس الثانى" من تسول له نفسه العصيان قائلاً :

Ink mkt mnḥ n sḏm.n.f nn ḥmy ḥr mꜣꜥw n ỉr.i spw.i

" إنني حامي كفأ لمن يستمع (إلى) ولن يكون هناك مجداف مرشد لذلك الذي يتجاهل أعمالي" (٧١) .

- وهناك فقرة فى متون الأهرام تشير إلى المجداف ككيان مستقل يُمثل أهمية عظيمة للملك حيث يذكر النص :

" لقد تعرف على عرشي لقد تذكرني مجدافي(٧٢) ... لقد وجدت عرشي خالياً في مركب رع الذهبية " ويشير النص أن تعرف العرش على الملك وتذكر مجدافه له قد أتاح له استرداد مكانته مرة أخرى

وإلى جانب استعارة نشاط التجديف فى النصوص الدينية لتفعيل دور مراكب الآلهة وكذلك المراكب الجنزية فى العالم الآخر وبالإضافة إلى استخداماته المجازية فى الأدب فإن نشاط التجديف قد عُنى بتصويره فى الاحتفالات الدينية حيث يكون الملك على رأس المجدفين فى سفينة الإله

ولعل أشهر الاحتفالات التي صورت هو احتفال الأقصر الشهير " عيد أوبت " وفيه يزور آمون الكرنك معبد الأقصر ثم يعود لمقره فى الكرنك مرة أخرى فى مركبه " الوسرحات " وقد صورت هذه الرحلة فى المعبد الجنزي للملك " نب حبت رع " "منتوحتب الثانى" ، كذلك على جدران معبدي الأقصر والكرنك وكذلك مدينة هابو وبعض المقابر الخاصة بكبار رجالات الدولة(٧٣)

ولعل ما صور على جدران معابد الدولة الحديثة هو تكرار لما ذكر نصاً فى متون الأهرام حيث يكون الملك من مجدفي إله الشمس

ويشير إلى دور الملك كمجدف فى مراكب الآلهة فى الأعياد الدينية نص "حورمحب" يذكر فيه : " لقد كنت من ربط حبل المقدمة لمركب أمون الوسرجات حيث

---

(٧١) K.A.Kitchen , op.cit , P.188-189 .

(٧٢) Pyr. 602 .

(٧٣) W.Murnane , " The bark of Amun on the Third Pylon at Karnak " , in : JARCE16 , 1979 , P.11-27 .

حَنت على رأس مصاحبيه (أي الملك) لكي يجدف لأمون رع في عيد أوبت الجميل "(٧٤).

وقد ارتبط بدور الملك الرمزي كمجدف للآلهة طقسه شهيرة صورت على العديد من معابد الدولة الحديثة وهى تصوير الملك فى جرية طقسية يمسك بالمجداف وقد أثارت هذه الطقسة العديد من المناقشات بين العلماء واختلفوا فى تفسيرها فرأى البعض أن المجداف هنا يمثل تقدمة يقدمها الملك للإله ولكن " كيس "(٧٥) الذي قام بدراسة هذه النوعية من المناظر يرى أن ظهور الملك فى هذه الجرية فى الاحتفالات الدينية يحمل المجداف هو إعلان عن وصول مركب العيد إلى مقر الاحتفال

ويقارب بين هذا المنظر وما يصور فى مقابر الأفراد ضمن مناظر الحياة اليومية ، حيث كان يعلن عن وصول السفينة من أي مهمة بأن يأخذ قائد السفينة المجداف ويجرى به إلى السيد الذي كلفه بهذه المهمة ليعلن عن الوصول .

ويؤكد "كيس" فى كتابه رأى "نافيل" وهو أن ظهور الملك بالمجداف أمام الآلهة من أجل الاحتفال بالعيد بعد الخطوة الأولى أو إشارة لبدأ الاحتفال وهذه الطقسة أمام الآلهة-قاصرة على الملك لأنه يُعد الكاهن الأكبر وهو الوحيد المنوط بالتعامل مع الآلهة

ويرى "كيس" (٧٦) أن هذه الطقسة فى مجملها تلخص وجود الملك فى رفقة الآلهة مثلما تجده فى متون الأهرام يأخذ بمجداف سفينة الشمس وعليه فهو أيضاً الشخصية الفاعلة فى احتفالات الآلهة وعن وجود هذه الطقسة ضمن مناظر "الحب سد " يرى "كيس"(٧٧) أنها هنا تشير إلى سعى الملك الذي يجسد شخصية " حورس " وهو يطوف بمصر شمالاً وجنوباً لتجميع أعضاء جسد أبيه المتوفى " أوزير " وقد اعتمد "كيس" على النصوص المصاحبة للمناظر ففي معبد " إدفو" نجد النص يذكر " أن الملك يحضر أشلاء أوزير من كل البلاد " " أن الإله الطيب يسرع فى جميع أنحاء البلاد ويجرى بدون مُعوق الذي يحضر سريعاً إلى أمه التوية " ، ثم يأتي بعد ذلك أسم الملك .

ويرى "كيس" أن طقسه المجداف في احتفالات "سد" هي تعبير عن السعي الملكي الذي لا ينقطع للبحث عن القرابين لأبيه المتوفى .

كذلك ناقش "كيس"(٧٨) تفسير هذه الجرية عندما تجئ ضمن المناظر الجنزية بمقابر الأفراد مثال لذلك مقبرة " رخمى رع " فى أن طقسه المجداف هنا تمثل وصول الرحلة

---

(74) T.Säve-Söderbergh , The Navy of Eighteenth Egyptian dynasty , Upsala , 1996 , PP. 71-72 .

(75) H.Kees , Der Opfertanz des ägyptischen Königs , München , 1912 , P. 81 ff .

(76) Ibid , P. 87 ff.

(77) Ibid , P.93 ff.

(78) H.Kees , op.cit , P. 94 ff.

الجنزية إلى مدينة أوزير (أبيدوس)[٧٩] وهذا المنظر يعادل مناظر إعلان الرسو أو الوصول ونجد عاده النص المصاحب للمنظر:

dr t3 m b3ḥ ḫnty imntyw .

"الوصول إلى الأرض أمام خنتي إمنتيو"

ونخلص من تصوير جرية المجداف سواء لشخص الملك فى احتفالات الآلهة أو فى احتفالات الحب سد وفى الزيارات الجنزية بمقابر الأفراد أنها داخل الدور الأساسي والمباشر للمركب والذي لا يفعل إلا من خلال المجداف .

وقد كان للملك دورا آخر يتعلق بسفن الآلهة في الاحتفالات في احتفال "الحب سد" كانت تقام للآلهة المشاركة في الاحتفال مقاصير مؤقتة تسمى " بيوت احتفال سد " وكان الملك بنفسه يستقبل الآلهة وهو الذي يأخذ بحبل الرسو للسفن المقدمة وهذا يعنى توقير الملك لهذه الآلهة وترحيبه بها[٨٠] .

ونجد أن الآلهة كان لها دورا مشابه بالنسبة لرسو سفينة الملك فى العالم الآخر فنجد فى متون الأهرام الحديث عن الملك " أن يده قد أخذت بواسطة رع لقد رفعت رأسه بواسطة أتون أن حبله الأمامي (أي حبل سفينته) قد أخذ بواسطة ايزيس وأن حبل المؤخرة قد أخذ بواسطة تفتيس" [٨١] .

وقد قدر المصري بشكل كبير دور المركب في حياته وقد نسب بناءها إلى الإله خنوم نفسه مسوي البشر فتذكر متون الأهرام الحديث عن السفينة " أيا حابى إمستى ، دوا موت إف و قبح سنو إف أحضروها للملك أى عمل خنوم " [٨٢]

وفى قاموس " فولكنر" [٨٣] أورد كلمة "šḥm" وترجمها "باني السفينة " ووضع بعدها علامة استفهام ونحن نعرف ما يرتبط بلفظة " سخم " من قوه وجسارة

كذلك فإن بناء السفينة كان من الأعمال التي تحظى بالتقدير فنجد فى قصة الصراع بين حورس وست لكي ترجح الآلهة كفة أحدهم على الأخر ألقت إليهم بعمل فيه الكثير من التحدي ويظهر المقدرة على تسيير الأمور فطلبت إليهم أن يقوم كل منهم ببناء سفينة وتسييرها فى النيل[٨٤] .

---

[٧٩] عن والزيارات الجنزية أنظر
أحمد محمود عيسى ، الحج والزيارات الجنائزية والرمزية في المناظر والنصوص المصرية القديمة ، القاهرة ، ١٩٨٣ (رسالة ماجستير غير منشورة) .

[80] H.Franlfort , Kingship and the gods , Chicago , 1942 , PP.80-81 .

[81] Pyr. T 1347 a –b .

[82] Pyr. T. 1228 b .

[83] R.O.Faulkner , A Concise dictionary of Middle Egyptian , Oxford , 1972 , P.241 .

[84] R.O.Faulkner & Wente , W.K.Simpson , The Literature of ancient Egypt , London , 1973 , P. 122 .

وفى أسطورة حورس إدفو عندما أصبح حورس شابا واكتملت قوته وعمل على الانتقام لوالده يذكر النص " أن الطبيعة والبشر قد ابتهجوا لأن حورس قد بنى المركب الخاص به " (٨٥) .

وقد تمتعت مركب الآلهة بقدسية كبيرة حتى أنه أصبح لها شخصيتها المستقلة فيذكر " كامب " (٨٦) أن سفن الشمس أصبحت من وسائل الأحياء والتجديد وأصبح لها دور مستقل وقداسة فى حد ذاتها ومن هذا المنطلق فقد لعبوا دوراً هاماً فى طقوس " الحب سد " ويذكر " أسمان " (٨٧) أن مركبتي الشمس لا تعبران فقط عن الحركة ولكنهما يمثلان وسيلة فرض القوة والسيطرة .

وفى متون الأهرام وصفت مركبتي الشمس أنهما " مركبتي الحق " (٨٨).

وتذكر الفقرة ١٦٨٧ من متون الأهرام والحديث موجه للملك " اعتلي ظهر هذه المركب الخاصة برع والتي يرغب الآلهة فى ركوبها والتي يجدف بها رع إلى الأفق حتى يمكنك أن تركبها مثل رع أجلس على هذا العرش الخاص برع حتى يمكنك أن تعطى الأوامر للآلهة "

وتدل هذه الفقرة على أن عرش رع موجود على مركبه وأن تمكن الملك من المركب يجعله يأمر ويتحكم فى الآلية وقد ذكرت فى صفحات سابقة أن عرش الملك أيضا موضوع على مركب حيث تذكر متون الأهرام على لسان الملك " أن عرشي قد تعرف على أن مجدافي قد تذكرني "

وقد حظيت مراكب الآلهة بقداسة مستقلة مثل مركب "تشمت" الخاصة بأوزير والتي جسدت كإلهة وكان لها طقوس(٨٩) .

وتذكر متون الأهرام " ليتك تجدف فى المركب الخضراء nšmt مع هؤلاء الموجودين بها" .

وفى جزء آخر : " أذهب إليه ذلك السعيد حتى يمكنك التعبد لمركب ḥnw "

وكانت سفينة آمون بها مقصورة أو ناووس في المنتصف ويتقدمه مسلتان ويصفها " كيتشن " (٩٠) بأنها كانت بمثابة معبد عائم وقد خوطبت كإلهة .

---

(85) Fairman & Blackman , The Myth of Horus at Edfu , II , in : JEA 29 , 1943 , P. 122 .

(٨٦) بري كامب ، تشريح الحضارة ، ترجمة أحمد محمود ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٢٤ .

(87) J.Assmann , op.cit. , PP.49-50 .

(88) Pyr. T 1785 .

(89) Pyr. T 1933 .

(90) K.Kitchen , "Barke" , in : LÄ I , 1975 , Cols. 119-125 .

وتجدر الإشارة هنا أن مسميات المراكب المقدسة تشير إلى صفات ذاتية لهذه المراكب ولا تتعلق بالإله صاحب المركب مثال على ذلك مركب " الوسرحات " الخاصة بآمون والتي تعنى " قوية المقدمة "

ولكن أحياناً ما كان ينظر إلى المركب كأداة مسخره لخدمة راكبها وقد أنعكس ذلك مجازياً فى النصوص الدينية فتذكر احدى فقرات متون الأهرام :

ḥ3.n.f n.k stš ḳ3s ṯwt k3.f sḫm.n n.k sw ḥr ṯwt wr ir.f nbb.f ḫr.k wṯs.f wr ir.f im.k

" لقد ذبح (حورس) ست من أجلك مقيداً وأنك الكا الخاصة به إن حورس قد نبذه من أجلك لأنك أعظم منه لقد سبح أسفل منك (وهو يحملك) لقد رفع من هو أكبر منه فى شخصك "

وفى الفقرة رقم a b ١٦٣٢ من متون الأهرام يقول النص " لقد أحضر اليه حورس ست لقد وضعه تحتك من أجلك لأن قوتك أعظم منه " (٩١).

ويتكرر نفس المعنى فى عدة فقرات توضح ست مسخراً فى شكل مركب لأوزير

وفى بردية الرمسيوم التي تحتوى على طقوس تتويج "سنوسرت الأول " فى المنظر السادس عشر نشاهد أولاد الملك الذين ينزلون في سفينتهم ثم يتكلم الملك ويمثل حورس مع ست الذي يمثل بسفينة قائلاً "احملني أنت يا من حملت والدي على ظهرك " (٩٢).

وقد كان أعظم أثر للملاحة على الحضارة المصرية هو تأصيل فن الإدارة حيث تمثل المركب أول مؤسسة أستلزم قيادتها منتهى الدقة وكان حسن تقسيم العمل عليها هو إلزام لتحقيق سلامتها وأي تهاون في إدارتها هو هلاك للمجموعة بأثرها ومن خلال إدارة المركب اكتسب المصري فن الإدارة والتنظيم الذي أبدع من خلاله واحدة من أكثر حضارات العالم تألقاً

وقد أشار " شيرل " (٩٣) إلى أن النشاط الملاحي الذي انتشر منذ البواكير الأولى للحضارة المصرية قد عمق فن الإدارة وأن تقسيم العمل فى مشروعات الدولة

---

(91) Pyr. T 587 b-c .

(٩٢) سليم حسن ، المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٧ .

(93) A.W.Cheryl , op.cit. , PP. 2-4 .

أستمد مما كان قائما من تقسيم العمل على المراكب وأن فرق العمال التي كانت تذهب للمحاجر والمناجم المختلفة كانت أيضا تخضع لنفس نظام تقسيم الحجارة على المركب وأن هذا يعكس الأصل الملاحي للإدارة في مصر القديمة [٩٤]

وقد أوضح " تشرنى " نفس الفكرة عندما تحدث عن مجتمع العمال فى دير المدينة حيث نظام تقسيم العمل بين هؤلاء العمال هو مستعار من نظام تقسيم العمل على المركب

وبدراسة أرشيف المعابد[٩٥] أتضح أيضا أن هذه المؤسسات الدينية قد طبقت نظام لتقسيم العمل فى المعبدين طوائف الكهنة يماثل ما كان قائماً على المراكب

وإذا كانت المراكب قد ساهمت بشكل كبير فى تأصيل نظام الإدارة فهي أيضا أبرزت دور القائد المشرف على الجماعة وكثيراً ما عبرت النصوص عن دور قائد السفينة أو القبطان الذي ربما يمثل أول قيادة مهنية حيث تتجسد فى إدارة المركب مركزية الحكم التي لا مجال فيها للنقاش أو المجادلة حيث قائد السفينة هو صاحب السلطة والمسئول الأوحد عن إصدار التعليمات واتخاذ القرارات .

ولقد عبر "رخمي رع" الوزير الأشهر للملك تحتمس الثالث عن صفات قائد السفينة الناجح بشكل مجازي عندما وصف قدرته وتمكنه من إدارة شئون منصبه فيذكر :

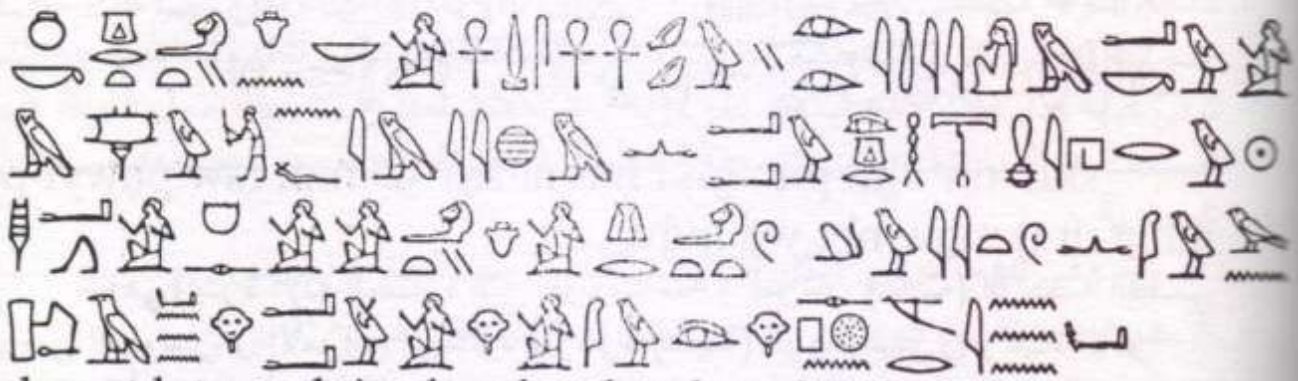

Ink grt ḥɜty n nb.i ꜥnḫ wḏɜ snb ꜥnḫwy irty ity mk wi m nfw n.f m ḫm ꜥꜥwy grḥ mi hrw ꜥḥꜥ.i ḥm.i ḥɜty.i ḫr ḥɜtt pḥwyt n šw n ꜥḥɜ mw ḥr ꜥwy.i ḥr.i šw rs ḥr sp n mry [96] .

---

[94] J.Černy , A Community of workmen at Thebesin the Ramesside period " , in : BIFAO 50 (2nd edtion) , 2000 , PP. 100-101 .

[95] Paule Posener – Kriéger , Les Archives du Temple funéraire de Nefer Ir karé KAKAI (Les Papyrus d'Abousir)
Bib.d'Et . LX v/2 , 1976 , PP. 565-574 . P.566 , note 2 .

[96] A.H.Gardiner , " The Autobiography of Rekhmere " , in : ZÄS 60 , 1960 , p. 69 .

" لقد كنت قلب سيدي ليعيش في يسر وصحة وأذني وعيني الحاكم ، وقد كنت ربان سفينته ولم أعرف النعاس ليلاً أو نهاراً وسواء كنت واقفاً أو جالساً فقد كان قلبي على أمراس مقدمة السفينة ومؤخرتها ولم يتراخى قضيب جس الماء في يدي لأني (كنت) يقظاً لأي فرصة قد تجنح فيها (السفينة) " [٩٧]

ونجد في النص السابق بعد أن أعلن " رخمي رع " توحده بسيده ويعني هنا الملك فهو قلبه وأذنيه وعينيه وبذلك نجد ينوب عنه تماما بدأ يسرد بشكل مجازي جميل حسن إدارته لمنصبه ، ولكي يدلل على ذلك وجد ضالته في مسئوليات قائد السفينة فاستعار التشبيهات التي تدل على اليقظة والتفاني ذلك أن مكانة القبطان أو قائد السفينة ترتكز أساساً على خطورة منصبه كقائد وكم المسئوليات التي يتحتم عليه القيام بها .

وهناك نص مشابه لوزير الملك "سنوسرت الأول" المدعو "منتوحتب" يذكر فيه أنه كان ربانا للشعب[٩٨] .

ويُفهم ضمناً من نص "رخمي رع" و "منتوحتب" أن تلك السفينة التي يتولون إدارتها هي "مصر" ، وكثيراً ما نجد في نصوص مديح الملوك ربط بين الملك وبين الملاحة والمراكب فنجد " أحد كبار موظفي الملكة "حتشبسوت" يصفها قائلا :

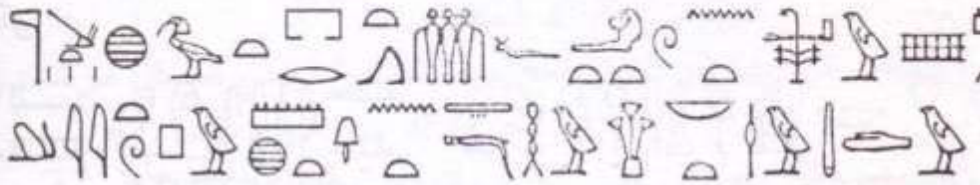

sk3t nṯr 3ḫt prt ḫn.f ḥ3tt nt šmˁw mnit rsw pḥwyt pw mnḫt nt t3 mḥw nbt wḏ mdw .

" (هي) بذرة الإله الممتازة التي خرجت منه و أمراس (سفينة) الوجه القبلي ومرسى الجنوبيين و الأمراس الممتازة لمؤخرة (سفينة) الوجه البحري وسيدة الأمر"

والأوصاف السابقة يُشير فيها "إنني" إلى عظم شأن حتشبسوت فهي بذرة الإله الممتازة ، ثم ينزل إلى أرض الواقع ليوضح هيمنتها الكاملة فهي مقدمة سفينة الجنوب ومرساه كذلك فهي مؤخرة سفينة الوجه البحري . وقد أجمل سلطتها المطلقة في أنها سيدة الأمر ذلك أنها المسيرة لهذه السفينة التي مقدمتها الصعيد ومؤخرتها الوجه البحري حيث الملك هنا هو الشخصية التي تربط بين قطري البلاد ومن خلاله يتوحدان في كيان واحد .

---

[٩٧] سليم حسن ، مصر القديمة ج٤ ، ص ٥٦٦ .

[٩٨] عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ج١ ، مصر ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨٤ .

وقد وُصف "أمنحوتب الثالث" بأوصاف مشابهة على لوحة في معبده الجنزي فتذكر أنه : " حبل مقدمة سفينة الصعيد وحبل مؤخرة سفينة الدلتا " .

وهذا الوصف يوضح التوحد الكامل بين الملك والسفينة الكبيرة التي هي مصر والتي مقدمتها في الصعيد ومؤخرتها في الدلتا ، وهو أيضا يقوم بدور القبطان على هذه السفينة فهو مُسير الأمور ومُنسقها .

وعن دور الملك في الإرشاد والتوجيه نجد في قصيدة مديح "سنوسرت الثالث" في بردية كاهون " المديح "لخع كاو رع" ليحيا مخلدا إلى الأبد (يرفع الشراع في مركبي بتوجيهاته) " .

fȝi ṯwȝ m wiȝ .i ḥr sšm.f

وفي مديح موجه للملك "بيعنخي" من جنوده يذكر النص :

in rn.k ir.f n.n ḫpš sḫ.k mni(t) mšʿ.k

"إن اسمك يمنحنا القوة نصيحتك هي مرسى جيشك " .

وإذا كانت مصر قد أشير إليها أحيانا أنها السفينة فإن الملك وهو المسئول الأول عن إدارتها يمثل القبطان . ونجد أن اسم التتويج لأول ملوك الأسر الحادية عشر فاتحة الدولة الوسطى "تب حبت رع" [٩٩] nb ḥbt Rʿ ومع الوضع في الاعتبار أن اسم التتويج يرتبط بشكل مباشر بمسئوليات الملك كحاكم ونظرا للظروف السياسية التي تولى فيها هذا الملك وأنه استعاد المركزية بعد أحداث عصر الانتقال الأول ، وبذا فقد أصبحت له السيادة في تسيير السفينة وهنا يُقصد بسفينة رع "مصر" وليس سفن رع السماوية .

وفي نبوءه "نفرتي" يذكر أن الملك القادم " سيأخذ التاج الأبيض ويرفع التاج الأحمر وسيوحد القوانين ..... وسيجعل المجداف في حركة ".

ويُعلق "باركنسون"[١٠٠] على هذه الفترة بأنه ضمن طقوس اعتلاء العرش كان الملك يقوم بجرية طقسية ترمز إلى إحاطته بحدود مملكته وكان يمسك في يديه برمزين أحدهما هو المجداف الذي يرمز إلى الحكومة أي دور الملك القيادي

وقد كان من الطبيعي أن تتلاقى مسئوليات الملك والقبطان ، وربما استعارت الملكية عند بدأ صياغتها الكثير من صفات قائد السفينة . ويتضح التقارب بين مسئوليات قائد السفينة ومسئوليات الحاكم بوجه عام في بعض المفردات اللغوية :

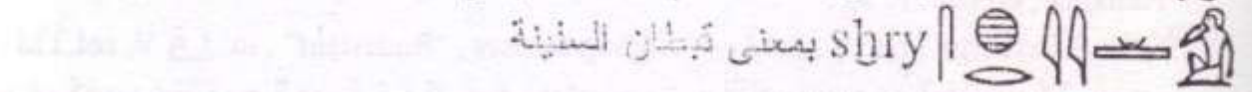
shry بمعنى قبطان السفينة

(99) V.Bekerath , Handbuch der ägyptischen Königsnamen , Berlin , 1984 , P.194 .

(100) R.B.Parkinson ,op.cit. , P. 138 , 142 .

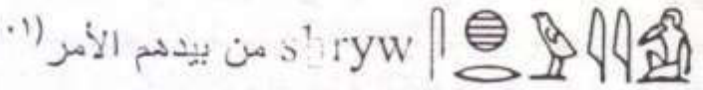 sḫryw من بيدهم الأمر[١٠١].

وكذلك كلمة wḏt بمعنى يأمر أو يسيطر أو يحكم ، فإن نفس الكلمة بمخصص الذراع wḏ تعني يعمل كقبطان [١٠٢] .

ونلاحظ هنا التلازم بين معاني النصح والأمر والسيادة ووظيفة القبطان وكذلك من بيده الأمر أي الملك .

ونجد أيضا كلمة 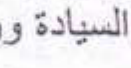 pnᶜ وتُعبر عن المركب المقلوب ، ومن معانيها أيضاً " يخلع الحاكم " [١٠٣] .

وقد أشار " šäve-šöderbergh " [١٠٤] إلى المشابهة الشديدة ولا نكون مبالغين إذا قلنا المطابقة بين لباس البحارة وبين الشنديت الملكي أو النقبة الملكية .

ويعد ذلك إكمالاً لما ذكر من قبل عن العلاقة الوظيفية بين قبطان السفينة ومنصب الملك .ويؤكد "بري كامب" [١٠٥] على تأثير الملاحة على نظام إدارة الدولة ويضيف أن جزءاً هاماً من القصر الملكي في الدولة القديمة كان عبارة عن حلبة أو مساحة ضخمة مسورة بها أبنية حجرية صغيرة ترمز إلى الحدود الإقليمية وبها أيضا منصة مرتفعة موضوع عليها عرش تعلوه مظلة ذات شكل مميز وهذا العنصر الأخير موجود بالفعل على إحدى السفن المصورة في المقبرة رقم ١٠٠ بهيراكونبوليس .

ويذكر "كامب" [١٠٦] أن أقدم تصوير لأحد عناصر احتفال الحب سد وهو تصوير الملك جالساً على عرش مرتفع تحت مظلة موجود على أحد القوارب في المقبرة آنفة الذكر .

وربما يكون ذلك متماشياً مع ما ذكره "فرانكفورت" [١٠٧] من أنه ضمن مراسم احتفالات التتويج قيام الملك برحلة نيلية حتى أن تعبير ḥᶜi أي يشرق كملك قد أصبح متداخل مع ḥnt أو ḥnw وهو الموكب النهري الذي كان يعد مرحلة هامة من مراسم الاحتفالات باعتلاء الملك للعرش .

---

(101) Faulkner , op.cit , P. 243 .

(102) Faulkner , op.cit. , P. 74 .

(103) Faulkner , op.cit. , P. 88 .

(104) Säve-Söderbergh , op.cit , P.83 ; Wolfgang Decker , "Ruderlauf" , in: LÄ V, col.314 .

(١٠٥) بري كامب ، تشريح الحضارة ، ترجمة أحمد محمود ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٦٤ .

(١٠٦) نفس المرجع ، ص ١٩٦ .

(107) H.Frankfort , op.cit. , P.302 .

وهنا نجد أن عمق النشاط الملاحي في مصر وشيوعه قد حتم وأصل دور القيادة كما أصل مفهوم الإدارة ، وعندما اكتملت لمصر وحدتها وأصبحت مسئولية إدارتها في يد حاكم واحد فقد طبع عليه الكثير من صفات قائد السفينة .

ولاشك أن كثير من أصول صياغة الملكية المبكرة في مصر قد غاب عن التدوين وربما إذا بحثنا بشكل أعمق وإذا حالفنا الحظ قد تتكشف لنا مظاهر أخرى لتأثير النشاط الملاحي على هذه الصياغة فربما كان لهذا النشاط تأثير على صياغة الألقاب الملكية خاصة تلك التي تتعلق بتتويج الملك .

لقد أورد البحث أوجه عدة لتأثير الملاحة على الصياغة الحضارية في مصر القديمة ومن خلاله اتضح أن المراكب قد ترسخت لفظا ودلالة في اللغة وإدراكا في التشبيهات الأدبية وترسخت كمفهوم لوحدة شديدة التنظيم في النظام الإداري وكقيادة مطلقة في دور الملك .